

أضواء البيان

@ 327 في الكشف ، التقدير { وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ } . إنه لمعجز ، وقدره ابن عطية وغيره فقال : { وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ } ما الأمر كما يقوله الكفار ، إلى غير ذلك من الأقوال . .

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له : الذي يظهر صوابه بدليل استقراء القرآن : أن جواب القسم محذوف وأن تقديره { وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ } ما الأمر كما يقوله الكفار ، وأن قولهم المقسم على نفيه شامل لثلاثة أشياء متلازمة . .

الأول : منها أن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل من الله حقاً وأن الأمر ليس كما يقال الكفار في قوله تعالى عنهم : { وَيَقُولُ الْكَافِرِينَ كَفَرُواْ لَّسْتَ مُرْسِلاً } . .

والثاني : أن الإله المعبود جل وعلا واحد ، وأن الأمر ليس كما يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم : { أَجْعَلِ الْإِلَٰهَ لِهَآءِ إِلَٰهًا وَآخِذَا إِنَّ هَآذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ } . .

والثالث : أن الله جل وعلا يبعث من يموت ، وأن الأمر ليس كما يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم : { وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَآ يَدْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ } وقوله : { زَعَمَ الْكَافِرِينَ كَفَرُواْ أَن لَّنْ يُدْعَوْاْ } وقوله تعالى : { وَقَالَ الْكَافِرِينَ كَفَرُواْ لَآ تَأْتِينَا السَّاعَةُ } . .

أما الدليل من القرآن على أن المقسم عليه محذوف فهو قوله تعالى : { بَلِ الْكَافِرُونَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ } ، لأن الإضراب بقوله بل ، دليل واضح على المقسم عليه المحذوف . أي ما الأمر كما يقوله الذين كفروا ، بل الذين كفروا في عزة ، أي في حمية وأنفة واستكبار عن الحق ، وشقاق ، أي مخالفة ومعاندة . .

وأما دلالة استقراء القرآن على أن المنفي المحذوف شامل للأمور الثلاثة المذكورة ، فللدلالة آيات كثيرة : أما صحة رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكون الإله المعبود واحداً لا شريك له فقد أشار لهما هنا . .

أما كون الرسول مرسلًا حقاً ففي قوله تعالى هنا : { وَعَجَبُواْ أَن جَاءَهُمْ مُّذَرِّمٌ مِّنْهُمْ } وقال الكافرون هَآذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ { يعني أي لا وجه للعجب المذكور . لأن يجيء المنذر الكائن منهم . .

لا شك في أنه بإرسال من الله حقاً .